الأخوة الإسلامية

جدة ـ ١٨ كانون أول/ديسمبر ١٩٨٢

لاحظت أن المسؤول السعودي الشاب في الجوازات السعودية ينظر في تأشيرة الحج، ويتأكد من وجوه الحجاج القادمين كلٌ بدوره، ويكرر هذه العملية عدداً كبيراً من المرات، حتى إنه بدأ القلق يساورني أن عمله هذا ليس ضمن الأعمال البيروقراطية. ثم إني لاحظتُ الدموع تنهمر من عينيه. لقد قفز هذا المسؤول الشاب من مقعده، وانحنى من فوق الكاونتر وعانقني على أنني "أخٌ في الإسلام".

نعم! لقد شاهدت الكثير من هذه الدموع، ولاحظت الوجوه التي كانت تشعُّ منها الفرحة والسعادة من أهل المشرق المسلمين الذين يعترفون بي أخاً مؤمناً لهم في الإسلام. ولو كانت هذه المشاعر والانفعالات ما تزال قائمة بين النصارى لأدركوا سبب فشل الأعمال التنصيرية بين المسلمين، بل إن المسلم قد يكون فقيراً معدِماً، أو أمياً لا يعرف سوى سورتين من القرآن الكريم: الفاتحة والإخلاص، بيد أنه رغم كل ذلك يشعر بالعزة والشموخ بمعرفته القليلة المتواضعة تلك ويتفوق بذلك على غير المسلمين، وبخاصة أولئك الذين يغرون الناس بكل طريقة ممكنة ليقنعوهم بأفكار شركية بأن ينسبوا لله ولداً، حاشا له سبحانه "ابن الله"، أو "أم الإله" [حيث يقولون عن مريم عليها السلام]، أو "التثليث"، أو "الخلاص من خلال التضحية الذاتية الإلهية"، و"القربان المقدس".

ويستشهدُ المسلم الفقير الأمي بقوله: "لا إله إلا الله"، ويستمتع بعقيدته وأنه قطع عهد "الجاهلية"، علماً بأن كثيراً من الناس لم يقطعوه.

الحج إلى مكة

مكة. ٢٠ كانون أول/ديسمبر ١٩٨٢

لقد ارتدينا إحرامنا الأبيض البسيط ودخلنا إلى المسجد الحرام، ووجدنا أنفسنا نقابل الكعبة المشرفة لزادها الله تشريفاً وتعظيماً! وهي تقبعُ في وسط ساحة المسجد الحرام الداخلية الواسعة. ولعل هذه لحظة من لحظات العمر يصعب حتى على المسلم أن يحلم أو يفكر فيها قبل حدوثها! ويصاب الناظر بخيبة أمل كبيرة عندما ينظر لأول مرة إلى مَعْلَمٍ طبيعي أو ذي هندسة عمرانية خاصة تعرَّف عليه من خلال الصور والأفلام. إلا أن الأمر مختلف في هذه الحالة.

لن تجد أي ضجيجٍ تجاري وتسويقي حول هذا المسجد، بل وليس هناك أي جوٍ من التقديس الحارِّ أو السحري الهالة. كل ما يحيط بهذا المسجد مضيءٌ، ومحترمٌ، وتلاحظ فيه أعلى مقاييس علم الجمال.

ويلاحظ أن حشود الحجاج الكبيرة ليست صاخبة ولا طاغية بأي حالٍ من الأحوال. بل على النقيض من ذلك، تراهم يؤدون صلاتهم بتساوق وانسجام: يؤدون الصلاة بصمتٍ تام يحمي خصوصية كل شخصٍ من المصلين. ويطوف حول الكعبة المشرفة عشرة آلاف حاج وزائر بصمتٍ وهدوء وسكينة. ولعلك تلحظُ آثار ذلك على النفس كأنه "تنويمٌ مغناطيسي".

لقد استمتعنا بالشعور الرائع الذي شعرنا فيه بالترحيب بنا وأننا آمنون تماماً بين إخواننا المسلمين. وأدركنا حقيقة ماذا تعني عبارة "السلام عليكم" حيث إنها كانت متحققةً تماماً في هذا المكان. لقد لمسنا هناك

العزة، والكرامة، والجمال، والبهاء، والإيمان والنظرة العالمية الحقيقية إلى الأمور. لقد شعرنا بأننا ذراتٌ من هذا الكون الفسيح المترامي الأرجاء. نعم! تختفي في مكة الفوارق العنصرية! وخلال الصلاة فقط كنت أتمكن من رؤية الأقدام الملونة من غيرها لأدرك أن كافة الألوان والأجناس البشرية من كافة القارات مجتمعة هناك.

إن الكعبة المشرفة، وهي بشكلها ذي الأبعاد الثلاثية، وببساطتها الواضحة المعبرة، هي الجواب الذي يقدِّمه الإسلام للبحث عن رمز بصريٍّ حيٍّ عن الكمال الإلهي. فإذا كان الله تعالى، كما يقول ابن سينا، "أعلى درجات البساطة، فإذن فإن هذا المكعب الفارغ، غير المزيَّن، يمثِّل عَظَمَتَهُ أفضلَ من أي هندسة عمارة يمكن تصورها وإدراكها بالعقل البشري". وتمثِّل الكعبة المشرفة "نقطة ساكنة"، كما أنها تُعْتَبَرُ "قِبْلَة" يتَّجِهُ إليها المسلمون في صلاتهم، وهي المرساة الرمزية لدينٍ عالمي يدرك بشكلٍ منقطع النظير أن الله تعالى ليس في "الغرب" كما أنه ليس في "الشرق"، وأنه تعالى لا يحدُّه زمانٌ ولا مكانٌ.

وإلى جانب هذا الحلِّ المعماري لما نسميه "بيتُ الله"، نجد الكاتدرائيات القوطية أو الكنائس الباروكية التي سادت في القرن السابع عشر الميلادي ثم أصبحت كحلية صغيرة تافهة لا معنى لها.

وبعد أن أكملنا طوافنا سبعة أشواطٍ حول الكعبة المشرفة حيث كانت السماء تتلألأ بالنجوم، وقفنا عند "الحجر الأسود"، الذي وضعه محمد ﷺ بيده الشريفة في ركن الكعبة المشرفة، فأصبح منذ ذلك الحين مكاناً شريفاً يقبِّله المسلمون ويذرفون عنده الدموع. ولعل هذه العادة ...

يجب ألا يغِّذي أحدٌ مثل هذا الشكّ عندما يرى الحجاج في مكة المكرمة، حتى ولو كان الناس قد اتخذوا في الجاهلية أصناماً آلهةً من الحجارة يعبدونها في الجاهلية في شبه جزيرة العرب. وكما أن "الرموز" قد

تحرر النفوس من الأفكار التي تحملها، فإنهم ليسوا بالضرورة يعبدون هذا الحجر الكريم. بل إن كل تكبيرةٍ تردِّدُ "الله أكبر"، كما ورد في ترجمة لورنس العرب، هي إنكارٌ حيٌّ للعبادة أو الإجلال المزعومين لحجر أسود بسيط لا يضرُّ ولا ينفع.

obeikandl.com

مباشرة إلى إبراهيم عليه السلام

مكة المكرمة - ٢٠ كانون أول/ديسمبر ١٩٨٢

اتجهنا بعد ذلك مباشرة إلى السعي مع مطوفٍ سعودي، نؤدي هذه الشعيرة الأزلية، وهو سبعة أشواطٍ سريعة نوعاً ما، بين جبلين صغيرين هما الصفا والمروة، وكلاهما داخل المسجد الحرام. وكم آلمَ المطوفَ أن يسمع ما نردده وراءه من ألفاظ الدعاء المأثور بلهجاتٍ غريبة مزعجة!

ولم يمضِ إلا وقتٌ قليل حتى أنهينا كافة مناسك "العُمْرَة"، ولكي نعود إلى حياتنا وأعمالنا العادية المألوفة، قصَّ أحد الأولاد الموجودين بضع شعراتٍ من رؤوسنا، حيث يمكننا أن نعود إلى ارتداء الملابس العادية، ونتحلل فنخلع ملابس الإحرام.

وفي اليوم التالي، كنت أتوق أن أكون وحدي في هذا المسجد الحرام الجليل المهيب. استيقظنا مبكرين جداً (حوالي الثالثة صباحاً)، قبل أن ينادى "الأذان الأول". إلا أن هذا كان غير مُجْدٍ على الإطلاق، حيث كان يستوي الليل والنهار، يتدفق الناس خلالهما دون توقف ولا انقطاع، فترى مئات المسلمين يطوفون حول الكعبة المشرفة، أو يقفون في طابور ينتظرون دورهم ليقبلوا "الحجر الأسود" أو يلمسوه على الأقل. وهم بعملهم هذا يؤكدون مدى العلاقة الأزلية مع ملايين المسلمين الذين سبقوهم إلى هذا المكان (ومع الذين سيفدون إلى هذا المكان في المستقبل بحول الله)، وكذلك يؤكدون ارتباطهم، وعلاقتهم، وانتماءهم أيضاً إلى رسول الله ﷺ. بل إنهم لما أرادوا إعادة الكعبة المشرفة بعد السيل الذي هدمها كان شرف إعادة "الحجر الأسود" إلى مكانه في الركن الشرقي

المخصص له في الكعبة المشرفة لمحمد ﷺ. وإن هذا الوعي التاريخي هو أمر نموذجي لدينٍ يعود تاريخ الحج فيه إلى نبي الله إبراهيم عليه السلام، قبل حوالي ٣٨٠٠ سنة تقريباً، شريطة أن الحاجَّ يُلِمُّ بقدرٍ كافٍ من المعلومات التاريخية والرمزية التي يجب أن يعرفها عن أعمال الحج ومناسكه.

إن الكنائس النصرانية لا تعرف عدد التقاليد اليهودية والوثنية التي أدخلوها في دينهم. إلا أن الإسلام لا يدعي أن هناك عموداً فقرياً لأصول مناسكه. وإن محمداً ﷺ لا يدعي أنه أنشأ وأسس ديناً جديداً، بل كانت مهمته ودعوته ﷺ بكل بساطة إعادة بناء الدِّين الأول والأوحد وإتمامه وهو: الخضوع والاستسلام التام لله، أو: الإسلام الأزلي لله رب العالمين.

obeikandl.com

على مقربةٍ من قبر النبي ﷺ

المدينة المنورة. ٢٣ كانون أول/ديسمبر ١٩٨٢

لو شهد أحدنا الاحتفالات الحماسية المولوية الليلية التي يقيمها بعض المسلمين الأتراك في ذكرى المولد النبوي الشريف، لا بد أن يقف إجلالاً واحتراماً وإكباراً للقرار الذي اتخذه العلماء المسلمون في المدينة المنورة بخاصة ليضمنوا ألا يؤدي أحدٌ أي عبادة أو صلاة مواجهاً قبر النبي ﷺ، بل لا يسمحون لأحدٍ أن يطلق العنان لدعائه وعبادته وصلاته إلا ضمن الحدود المتعارف عليها بالسلام على النبي ﷺ دون رفعٍ للصوت، أو تمسُّحٍ بالقبر أو جدرانه وما يحيط به.

ولا يمكن أن يختلف عاقلٌ مع هذا القرار إذا أدرك ما حدث مع السيد المسيح، عيسى عليه السلام، فقد بدأت محبَّتُه بالإفراط بالإعجاب به، ثم انتهت إلى تأليهه حتى العبادة.

وأما في الإسلام، فقد تمت مراقبة هذا الموضوع وضبطه بشكل دقيق للحيلولة دون حدوث مثل هذه المغالاة.

حادث في الفندق

المدينة المنورة. ٢٤ كانون أول/ديسمبر ١٩٨٢

لقد صادف في هذا العام أن يجتمع كل من الأمسية "الكاذبة" لعيد ميلاد السيد المسيح عليه السلام، يوم الجمعة، وذكرى المولد النبوي الشريف، وهو اليوم الأكيد لمولده ﷺ. ولدى دخولنا إلى فندق المدينة - شيراتون لتناول طعام الغداء هناك، استقبلنا شابٌّ باكستاني يعمل نادلاً في المطعم هناك بابتسامة عريضة ورحَّب بنا قائلاً: "عيد ميلاد سعيد". وقد حُقَّ لهذا الشاب أن يفعل ما فعل وذلك لأن فندق المدينة - شيراتون يقع خارج حدود الحرم المدني، وبإمكان "غير المسلمين" النزول والإقامة فيه، وأن يظنَّ أننا "نصارى".

وعندما سمعت ترحيبه بنا، التفتُّ إليه وقلت: "على فكرة! نحن مسلمون ولله الحمد". وقد ذُهِل ذلك الشاب الباكستاني وزملاؤه مما سمعوه منا. ولم تمضِ سوى برهة بسيطة حتى أتى إلينا مدير الفندق ورجانا رجاء حاراً أن نقبل دعوته على الغداء "على حساب الفندق" كتعويض واعتذار عن تلك الإهانة الكبيرة التي لحقتْ بنا من قبل النادل الباكستاني. وكأن المسلمين لا يطالبون باحترام عيسى المسيح عليه السلام نبي الله، وليسوا كذلك مطالبين بالإيمان بالوحي الذي أنزل عليه!!

ويبدو أن المسلمين، بشكل عام، لا يعلمون سوى القليل عن "العهد الجديد" [الإنجيل]، تماماً كما هي معرفة النصارى بـ: "العهد القديم" [التوراة].

نبذةٌ عن حجاب النساء

المدينة المنورة. ٢٥ كانون أول/ديسمبر ١٩٨٢

اتجهنا في المساء مشياً على الأقدام نحو مسجد الرسول ﷺ على الرخام المزيَّن الكثير الزخرفة بالنسبة لذوقي المتواضع، وقد أردنا أداء صلاة المغرب. وكان لزاماً علينا أن نفترق أنا وزوجتي. فقد كان عليها أن تختفي بين جمعٍ يضمُّ المئات من النساء اللواتي يرتدين زياً موحداً تقريباً، حيث كانت جميعهن تقريباً يرتدين النقاب على وجوههن، ويرتدين العباءات السوداء التي يضعنها فوق رؤوسهن.

وبعد ذلك، عند انتهاء الصلاة، وأنا مدركٌ لتغيُّر دور كلٍّ منا، سأقف أنا عند أحد أعمدة مصابيح الكهرباء لأنتظرها كي تأتي إليَّ هناك وتصطحبني لنعود إلى مكان إقامتنا. (وكان البديل الوحيد لهذا أن أتعرف على زوجتي بشيء من المخاطرة في بلدٍ لا يخاطب الرجال فيه النساء من غير أهلهن إلا حسب اللزوم فقط).

وبدأت أفكر وأتأمل بزائنات هذا الأمر وشائناته وأنا واقفٌ بانتظارها. لماذا تنتقب النساء بالكامل؟ وهذه العادة ليست عادة عربية، بل رومانية وإيرانية [فارسية] من حيث الأصل. لقد اعتقد نساء الطبقة الاجتماعية الراقية أنهن يميزن أنفسهن و"طبقتهن" الاجتماعية إذا ارتدين هذا الحجاب الساتر لهنَّ. وإن هذا الحجاب يُبْعِدُهُنَّ قليلاً عن النساء العاديات والطبقة الاجتماعية الدنيا من أبناء الشعب، بل إن هذا الحجاب سيجعلهن أكثر "ندرةً" في المجتمع وأكثر قيمة. كما أن هذا الحجاب استثمر في الوقت ذاته لتعزيز الشعور بالغيرة لدى أهل المشرق. وأيما كان

الأمر، فمن الحق أن نقول إنه إبان حياة النبي ﷺ وخلال فترة الخلافة الراشدة بعد وفاته مباشرة لم تكن النساء المسلمات محجبات بالكامل [فيما أعلم وقد أكد عمر بن الخطاب رضي الله عنه على تغطية كامل الوجه]، كما هي الحال اليوم. كما أن النساء اللواتي يؤدين فريضة الحج ينبغي عليهن ألا ينتقبن ويغطين وجوههن بالكامل [إلا عند مرورهن أمام رجال أجانب عليهن]، وهذا ما فعلته سابقاتهن من النساء اللواتي عاصرن النبي ﷺ وحجَجْن معه.

فمن ناحية، فإن النساء السعوديات يتطوعن بلبس الحجاب عن رغبة، وليس الأمر دون منطق سليم، ليتقيدن بتعاليم القرآن الكريم. إذا كان الهدف من تغطية شعر المرأة، وصدرها، وذراعيها هو المحافظة عليها من أن تصبح سلعةً للجنس، وللحفاظ على الزيجات من إغواءات لا تعرف الخجل، ولتجنب منافسات عروض الأزياء وملكات الجمال التي لا طائل تحتها ولا فائدة منها بين النساء، فلماذا تبقى هذه النقاط القوية لتركيز الرغبة الجنسية على العينين والفم والكعبين معروضة على الملأ؟

ومن ناحية أخرى، فإن تاريخ الموضات والملابس يوفّر لنا المزيد من الأدلة على أن الحجاب يمكن أن يكون جذاباً إلى درجة استثنائية، وأن النقاط التي تشغل بال الذكور جنسياً تتغير بين فترة وأخرى، كما أثبتت التجربة تاريخياً عندما تمَّ تقصير التنورة التي تلبسها المرأة خلال القرن التاسع عشر، وصدق من قال: "إن فضيحة اليوم هي مللُ الغد".

وقد يحلو للمرء أن يجادل بأن السؤال الذي يطرح نفسه هو: "أين نضع الخط الفاصل؟" ليس له كبير معنى. إن هناك حدَّاً لخلع الملابس بين الناس، أليس كذلك؟ فإذا قبلنا بهذا فقد رسمنا ذلك الخط الحقيقي: "هل نريد حجاباً كاملاً أم جزئياً؟"، حيث يأتي هذا السؤال في الدرجة الثانية بالأهمية.

يجب استنباط الحل الإسلامي لهذه المشكلة من مبدأين رئيسين: المحافظة على المقاييس والاعتدال، والموازنة بين الهدف والوسائل. وبالتالي، فإن غالبية النساء المسلمات يتحجبن بشكل معقول وملائم حسب ما أمرت به السنة المطهرة.

فبتركِ الحجاب الكامل يؤكدن أن زيجاتهن ليست بسبب عدم وجود "فرصٍ" أخرى لهن في هذه الحياة. سيكون هذا الأمر مخجلاً إذا أخلص الأزواج المسلمون لبعضهم فقط لأنهم لا يقارنون أزواجهم بغيرهم من الناس، أليس كذلك؟ وكذلك فإن المرأة المسلمة تختار حجابها وستر نفسها وهذا ليس علامة عدم نضوج لها أو لزوجها، بل إنه على العكس من ذلك تماماً، إنه علامة نضج وتطور واستقرار.

obeikandl.com

الاستغراق في الصلاة

المدينة المنورة. ٢٦ كانون أول/ديسمبر ١٩٨٢
زيارة الوداع لمسجد النبي ﷺ

لقد استغرق إخلاء المسجد من المصلين اليوم بعد أداء الصلاة أكثر مما يستغرقه بشكل عادي بكثير. ويبدو لي أن هناك زحاماً يعيق حركة الناس عند المدخل الرئيس للمسجد. حقاً، فقد كان عند منتصف الدرج تماماً رجلٌ مستغرق تماماً في صلاته! وقد يكون هذا المصلي جاء متأخراً لأداء الصلاة، أي قبل أن ينفتل الإمام من صلاته مسلماً على اليمين وعلى اليسار، ولذا، فقد كان يحاول أن يقضي ما فاته من ركعات الصلاة مع الإمام. ولقد كان من استغراقه في الصلاة أنه نسي كل ما حوله تماماً!

وقد لاحظت أن كل من أراد المرور من تلك المنطقة التي يصلي فيها المصلي حاول بكل وسعه الابتعاد عن مكان سجوده كي لا يزعجوه، ويقطعوا عليه صلاته. وكذلك فلم أسمع انتقاداتٍ حادةً من قبل المارَّة الذين تسبَّب بتأخيرهم عن الخروج من المسجد. حقاً، لقد كان يؤدي واجبه التعبدي ليس إلا. ولا شك أنه لا يُحْتمل قطعاً أن يحدث مثل هذا المشهد في كنيسة القديس بطرس في روما حينما يأتي زوارها النصارى إليها ويزدحمون فيها. ويبدو أن الخلاف بين الأمرين هو أن طقس القربان المقدس هو الطقس الوحيد فقط الذي يؤديه الراهب ويتمتع بهذه الخصوصية في العبادة. وأما في الإسلام، فهناك عبادة رسمية واحدة تتكرر كل يوم للمسلمين جميعاً. فالإمام "يؤمُّ" الناس في الصلاة فحسبُ كي يضمن المصلون أداء الصلاة في وقت واحد وبتوقيت موحد.

وتتمتع الصلاة في دين الإسلام بأعلى مرتبة في الحياة والعبادة. وقد خصصت كتب الفقه الإسلامي الجامعة، ككتاب منهاج الطالبين للإمام النووي، وغيره من كتب الفقه الأخرى المعتمدة في القرن الثالث عشر، الفصول الأولى منها للصلاة. وأما في الكتب المتقدمة، كموطأ الإمام مالك ﷺ فقد خصص ما لا يقل عن أربعة عشر فصلاً من الأبواب والفصول الأولى في كتابه عن شروط الصلاة وأحكامها بشكل خاص. وبناء على هذه الأحكام، فينبغي على كل مسلم أن يحترم بشدة صلاة المصلين فلا يزعجهم، ولا يقطع عليهم تركيزهم ويشوش عليهم أفكارهم. كما أنه يحدد مكانٌ للمصلي، سواء أتمَّ تعليم ذلك والإشارة إليه أم لا، (وهو على قدر قياس سجادة الصلاة حيث يتمكن المصلي من السجود براحته، أو في المكان الذي يضع فيه نظارته قريباً من مكان سجوده) بحيث لا يتجاوزه المارون بين يدي المصلي في أي حال من الأحوال، تقريباً. وبناء على هذه "المدنية" التي يمكن ملاحظتها في أي بلد من البلدان الإسلامية، فمن السهل نسبياً للمسلم المصلي أن يجتهد في التركيز باستغراق وعمق على صلاته، سواء أكان يصلي في محطة للبنزين، أو على رصيف أحد الشوارع، أو حتى على سقالة بناء مرتفعة.

إن قوة الإسلام يُنظر إليها في الغرب غالباً على أنها "لغزٌ" محير. ومع ذلك فيمكن التعرف على هذه القوة لهذا الدِّين العظيم بمنتهى السهولة والوضوح، إنها ناتجة ونابعة من قدرة المسلم على الصلاة.

همومٌ عن صحة الصلاة

بدر. ٢٧ كانون أول/ديسمبر ١٩٨٢

مررنا بموقع معركة بدر في طريق عودتنا من المدينة المنورة إلى جدة، وهو الموقع الذي يبدو أنه تقرر فيه مصير الإسلام بأكمله عام ٦٢٤، حيث اعتمد الأمر على نتائج تلك المناوشة. وكان سائق الحافلة (الباص) التي نركب فيها غالباً ما يقدر مواعيد الصلاة بناء على "الشمس". فإذا تجاوزت الشمس كبد السماء، لم تعدْ هناك مخاوف أن تتزامن الصلاة مع "عبادة الشمس"، وعندها يوقف سائق الحافلة حافلته، ويدعو كافة الركاب للنزول لأداء صلاة الظهر.

وبينما كنا نصطف في صف واحد طويل لأداء الصلاة على جانب الطريق، التفت إلي الشخص الواقف بجواري في الصلاة، وهو من جنوب إفريقية، ومن أصول هندية، وأشار إلي بلطف بالغ: "لا تنسَ أن تخلع نظارتك الشمسية". إذ إنني إن لم أخلعها لن أستطيع تحقيق السجود بشكل صحيح بحيث تلامس جبهتي وأنفي الأرض أثناء السجود، كما هو مفروض على المصلي.

وقد رأيت أن هذا الأمر رائع لعدة أسباب:

أولاً: إن رجلاً مسلماً لا أعرفه على الإطلاق، يبدي قلقه ومخاوفه بطريقة أخوية رائعة خشية ألا تكون صلاتي صحيحة. وبدون أن يُدِلَّ عليَّ بتقواه، فقد اتَّبع أحد أوامر الإسلامية الأساسية وهو: "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر".

ثانياً: لقد أثبت لي بما لا يدع مجالاً للشك أن المعرفة الدقيقة لأحكام الصلاة هي أمرٌ عام بين المسلمين من أي جنسية كانوا، وبأي مهنة من مهنة الحياة يعملون.

ثالثاً: ركّز هذا الأخ المسلم على أن الصلاة في الإسلام هي عبادةٌ تستغرق كلاً من القلب أو الروح والجسد، وهي بهذه المناسبة، تتطلب المزيد من الدقة في التفاصيل إلى حد يتسبب للمسلم الجديد بآلام في عضلاته أحياناً[1].

إن صلاة الفرد المسلم العاقل، هي كشخصيته، وكنظرته إلى جميع أمور الحياة، متكاملة تماماً. وإن "الرضى والتسليم والخضوع" لأمر الله يتضمن "السجود" دون أدنى شك، والعكس صحيحٌ أيضاً.

(١) يبدو أن الأطباء ملمون بهذا الموضوع. بل إن الطبيب الذي فحصني عام ١٩٨٣ لاحظ أن ممارستي للصلاة كانت في الواقع لي بمثابة تمرينات رياضية ممتازة.

obeikandl.com

الإسلام وارتفاع أسعار النفط

جدة - ٢٨ كانون أول/ديسمبر ١٩٨٢

لقد ربح العرب في تاريخهم مرتين وحصلوا على ضربة حظ: الأولى في القرن السابع، عندما استطاع الإسلام أن يجعل العالم بأسره يدور في فلك مكة المكرمة، والمرة الثانية بعد عام ١٩٧٣، عندما ارتفعت أسعار النفط ارتفاعاً كبيراً. فعندما أمر الله ﷻ عبده ونبيه العربي ﷺ بقوله: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: ٩٦/١]، فقد أعطاه هدية دائمة ذات قيمة بالغة. إلا أن اكتشاف النفط (الزيت) كان بركةً من نوعٍ آخر مزيجٍ من عدة أمور.

فبالنسبة لشخصٍ يعيش في الحجاز، فإن هاتين الحادثتين قد تشكّلان له أحلاماً كبيرة بالانتماء إلى "الشعب المختار" من العرب. ومع ذلك، فإن صديقي الشاب السعودي رفيق بنوي وزملاءه لم يتأثروا بالغنى الحادث. فلقد كانت عزَّتُهم - وتراثهم البدوي الحرّ - مستقلاً تماماً عن حسابات البنوك. إنهم لم تسحرهم معدلات أسعار الدولار، وأسعار الحرية الجنسية التي تتفاوت حسب الطلب والتي يقوم بالإعلان عنها والدعاية لها هربرت ماركوس *(Herbert Marcuse)*. لقد آثر هؤلاء مناقشة أمور الدِّين وقضاياه، بل كان بعضهم يتصل هاتفياً بالبعض الآخر كل صباح ليتأكد أن زميله قد استيقظ لأداء صلاة الفجر.

وأما في الغرب، فغالباً ما يتعجب أحدنا إلى متى سيصمد التزمُّت النشط في وجه الهجمة المادية الضارية؟ ولا يستطيع أحدنا أن يتصور أنه في حالة الفساد بسبب الغنى والثروة يمكن أن يتحطم تماماً.

وبالطبع، فإن السعوديين لم يمروا بكافة مراحل النهضة الصناعية، بل إنهم دخلوا مباشرة وبشكل مفاجئ في عصر التقنية الذي جاء بعد مرحلة التصنيع. ويبقى السؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل ستزيد أم ستنقص هذه الظاهرةُ المخاطرَ التي تواجه الدِّين، والتي يسببها مستوى الحياة الرغيدة الغنية؟

وقبل أن يتأمل المرء كثيراً في هذا السؤال، لا بد أن يدرك المرء "ماركسية" هذه الطريقة! ترى، هل أصبحنا متشبعين بالمادية واستغرقنا فيها بحيث لم يعد بوسعنا تصور فكرة مثيرة يمكن أن تكون أكثر من بناء فوقي فقط (ماركس "يوبيرباو")، أو انعكاس فقط للحالة الاقتصادية الراهنة؟

إن الإسلام في الحقيقة هو أكثر من وظيفة طبقة من الطبقات أو متوسط دخل الفرد. إنه "دينٌ" يمكنه توفير مناعة ممتازة ضد وثنية الثروة والراحة والدعة والغنى. بل إن المسلم الجيد الملتزم لن يعدِّل أولوياته أو يرتبها طبقاً لمعايير السوق ومتطلباته. إنه يقاوم الإكراه لزيادة الإنتاج والحصول على أعلى نسبة من الربح. وفي الوقت ذاته، فإن المسلمين لا يحتقرون، ولا يقللون من أهمية الملكية الفردية الخاصة، والتجارة، والربح، والثروة. كما أن المسلم الجيد، كما هي الحال في النظام الكاثوليكي *(Opus Dei)* يشعر بمنتهى الراحة في عالم الاقتصاد دونما حاجة أن يُذِلَّ نفسه ويستعبدها ليجعلها مطيعة لمبدأ "الفائدة" (الربوية).

وبناء على هذه المعطيات، فإن الأمل معقودٌ على أن الإسلام سيتجنب المبالغات التي وقع فيها كل من "الغرب" و"الماركسية - اللينينية"، وسيظهر على أنه البديل الأفضل ذو الوجه البشري الحقيقي.

إعلان استسلام العقل

آخن (كنيسة آيكس. لا *Chapelle. la. Aix*) . ٥ شباط/فبراير١٩٨٣

تحداني أحدهم أثناء الاجتماع السنوي المسلمين الناطقين بالألمانية في مسجد بلال في آخن أن أوفّق بين وظيفتي كمدير للمعلومات في حلف شمال الأطلسي مع التزامي بمبادئ الإسلام. إلا أنني لا أرى صعوبة بمطابقة هذين الدورين. بل في حقيقة الأمر، إذا كُتِب للإسلام أن ينمو وينتشر ويزدهر في الغرب على الإطلاق، فلا بد على الغرب أن يكون آمناً، قبل كل شيء، من الهجمات التوسعية السوفييتية المرعبة. وإن هذا الخطر الخارجي الأكبر، حتى على العالم الإسلامي، يحاول هذا التحالف الأطلسي احتواءه وتحييده.

ولا شك أنني أعترف أن الاتحاد السوفييتي [سابقاً] كقوة عالمية عظمى، لا يُشكّل سوى تحدياً ومشكلة أيديولوجية فكرية أقل للإسلام، من الإلحادية والمادية والتقنية الغربية مجتمعة. إن الوجودية "العلمية" الغربية تأتي بشكل هادئ صامت تمشي مشي القطة بحيث لا يستطيع أحد أن يسمعها (إذا استعرتُ عبارة الكاتب روبرت فروست)، بينما نلاحظ أن "العلمية" السوفييتية الإلحادية تفرض بشكل قاسٍ وشديد بمختلف أقسام دبابات الجيش الأحمر، كما كانت الحال في أفغانستان. ومهما كان الأمر، فإن أي نهضة روحية في الغرب، بما في ذلك الاستعداد لاختيار الإسلام كبديل، تفترض أولاً وقبل كل شيء وجود أمنٍ فعلي ضد التدخل السوفييتي. ولذلك، فإن الاهتمامات السياسية لحلف شمال الأطلسي والشعوب الإسلامية تتلاقى حالياً.

كما يُتوقَّع مني أيضاً أن أشرح "طريقي إلى مكة". حسناً، إليكم ما قلته آنذاك:

"عندما قرأت القرآن الكريم للمرة الأولى تأثرت به فوراً، بل إنني ذُهلتُ بما قرأتُ في الآية ١٦٤ من سورة الأنعام: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾.

وقد فهمتُ هذه الآية خطأً على أنها قاعدة أخلاقية (وعلى أنها مخالفة تماماً لمبادئ النصرانية)، بدلاً من أن أفهمها بشكل صحيح على أنها حقيقة دينية: أي أن كلاً من الرجال والنساء سيواجهون ربهم وخالقهم مباشرة، ودون أدنى احتمال لوجود وسيط بينهما. ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾، وهذا أمر في منتهى الدقة بينته آية الكرسي ٢٥٥:٢. كما أن الآية السابقة ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ تتضمن معنى أساسياً آخر وهو: رفض وإنكار مفهوم "الخطيئة الأزلية الموروثة". فإذا لم ينطلق أحدنا من فرضية أننا جميعاً بحاجة ماسة "للنجاة"، فلن يبحث أي منا عن "المنقِذ"، وبالتالي فلن يجد منقذاً له؛ ولذا، فإن هذه الآية الكريمة من القرآن الكريم سلَّطتْ كثيراً من الضوء على الآلية التي يمكن أن تؤدي إلى خروج النصرانية عن السكة وانحرافها عن المسار الصحيح.

"وبعد أن فهمت هذا، أدركت أيضاً أن الإسلام لم يكن رجعياً تقليدياً بالمفهوم المتعارف عليه بين الناس، بل على النقيض من ذلك، فقد دفع عجلة البشرية إلى الأمام باستمرار، متجاوزاً المرحلة التي آل إليها الأمر بعد عيسى عليه السلام وإذا استخدمت مصطلحات كل من هيجل وماركس: لقد أوقف الإسلام النصرانية على قدميها بعد أن كانت تقف على رأسها بوضع مقلوب.

"فالماديون يقولون إنهم لا يعرفون أي شيء بالتأكيد إذا لم يكن مدركاً وملموساً ومحسوساً، إلا أنهم ينتقلون بشكل عام ليؤكدوا أنه

من "المحتمل" عدم وجود أية حقيقة بعد "الملموسات". وإن هذا الأمر ليس من الذكاء في شيء، بل إنه أمر منحازٌ جداً لا يمكن تسويغه أو تبريره بأي شكل. بل من الصدق تماماً أن نثبت على مقولة: إنه، بناء على الاستعلام العقلي البشري، لا يمكننا تأكيد الاحتمالات الغيبية.

"وبعد اعتقادي بهذه الفرضية فترة من الزمن، أدركت فجأة بإحساسي الدفين أن حدود ما يمكن أن نعرفه ليست حدود الحقيقة. وهذا هو القرار الذي دفعني إلى الإيمان. لقد أذهلتني تماماً، وإلى حد كبير، درجة قدرتنا المحدودة لتصور وإدراك أي أمر من الأمور بشكل له مصداقيته، حتى وصلت إلى درجة تفضيل حالة العزَّة المتواضعة على حالة الاعتزازِ الغبي، وهي الحالة التي يتمسك بها الماديون ممن يعتقدون بأنفسهم الجرأة والذين [يظنون] أنهم مكتفون ذاتياً، والذين يعيشون جميعاً وغالباً في عزلةٍ ذاتية ضيقة متجمدة.

وهكذا، فقد اخترتُ بوحيٍ من فكري وعقلي وطائعاً مختاراً أن أسلم أمري، وفكري، وعقلي، إلى الحقيقة الكبرى التي أشعر بأنني ذرة صغيرة منها. وأسلمت لله رب العالمين: الله أكبر كبيراً، وهو أكبر مما يمكن أن نتصور.

"وإنني إذ أقول ما قلت، لا أريد أن أقود أي شخص إلى منزلق شديد الزلل لتعريف "الله" عز وجل. فإذا استطعنا تعداد أسماء الله الحسنى وصفاته التسعة والتسعين، فإننا لن نستطيع وصفه ﷻ بلغتنا البشرية القاصرة المحدودة، إذ إنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. وكما أننا محدودون بمفرداتنا ومصطلحاتنا اللغوية، فإننا لا نستطيع، حتى بما نقرؤه من كلام الله، أن نعبِّر عن ذاته العظيمة التي ليس كمثلها شيء".

ولو أنني قلت المزيد لانتقصتُ من قدر الموضوع.

تقدُّمُ الإسلام

بون. ٤ حزيران/يونيو ١٩٨٣

إن أفضل ما يمكن أن يحدث للإسلام في ألمانيا في هذا الوقت قد حدث فعلاً: لقد كتب أستاذ بروتستانتي للأديان اسمه الدكتور بوول شوارزنو "دليلاً قرآنياً للنصارى" ـ شتوتغارت ـ ١٩٨٢، وأبرز فيه حقيقة القرآن الكريم، حتى في النقاط التي خالف القرآن الكريم فيها الإنجيل.

وقد أدرك شوارزنو، بناء على ما يدين به لمبادئ التحليل النفسي للكاتب سي. جي. جونغ، أن القرآن الكريم يعكس نماذج أصيلة متوافقة مع ما يسمى: "اللاشعور الجماعي". ويقوده هذا إلى تأكيد حقيقة نقاوة القرآن الكريم، وصدق وحيه، وحقائقه التاريخية، وأنها ليس لها أية علاقة بمضامين أية نصوص تاريخية أخرى: أي أنها خالدة على مرِّ الزمان، وأنها الحقيقة الخالصة. وقد شبَّه الكاتب القرآن الكريم بقطعة من الكريستال النقي المتعددة الأسطح والتي تدور لتعكس النور الإلهي بانعكاسات لا نهاية لها.

وباختصار، فقد توصل الأستاذ شوارزنو إلى الاعتقاد الراسخ بأن الإسلام هو الدّيْنُ الأزلي، والتوحيد الأزلي، ولذلك فهو أقدم الأديان على الإطلاق، كما هو أحدثها على الإطلاق أيضاً. (وإذا لم يكن هناك أي شيء آخر فإن هذا يكفي أن يجعل هذا الأستاذ النصراني مسلماً حقيقياً!).

وبالطبع، فإن الأستاذ شوارزنو لا يقبل عقيدة "التثليث"، والتي تتضمن اتحاد طبيعة المسيح عليه السلام مع الله تعالى، قائلاً: "إن عيسى عليه السلام الحقيقي،

كما عرفه التاريخ، لن يقبل أبداً وعلى الإطلاق الإعجاب، والمغالاة التي وصلت إلى حد التأليه لشخصه الكريم عليه السلام" كما يضيف الأستاذ شوارزنو في هذا المجال أن "العهد الجديد" قد تمَّ تحريفه من خلال تفسيراتٍ كاذبة، إن لم يكن من خلال عمليات التزوير.

ترى، هل يمكن أن يحدث أفضل من هذا الأمر لدين الإسلام في هذا العام؟

obeikandl.com

نظيف، أنظف، الأنظف!

بون. ١٦ آب/أغسطس ١٩٨٣

كلما حقَّر، أو كره شخصٌ ما شخصاً من عرقٍ آخر، أو من دينٍ آخر، يكاد يشعر بأن الشخص الآخر "يشتمُّ منه" تلك الرائحة البغيضة من الكراهية. وباختصار: إن العدو له رائحة كريهة.

لقد شعر الألمان بهذه الكراهية تجاه كل من البولنديين واليهود، حتى عندما يمكن البرهنة على ذلك إحصائياً أن النظافة الألمانية تنطبق أكثر على الأرصفة النظيفة، والنوافذ النظيفة، بدلاً من الأسنان النظيفة. ويتعامل الألمان حالياً بالتمييز العنصري مع الأتراك الضيوف العمال في ألمانيا. إنهم "مختلفون"، ولذلك فهم "مشبوهون". وباختصار: لا بد أنهم "وسخون".

ليس لدى الأتراك مناعة أيضاً ضد هذا الفخِّ النفسي. فإن الأتراك بدورهم الآن يترفعون بأنوفهم عندما يرون العرب الأغنياء "القذرين" من السياح يحتلون كافة المقاعد على مقربة من أفضل الفنادق على امتداد [مضيق] البوسفور.

إن هذا النوع من التخيل الواهم العنصري هو بشعٌ ولا شك، وخاصة إذا كان المسلمون هم المقصودون والمستهدفون بذلك، وذلك لأن الإسلام ركَّز أكثر ما يكون على "النظافة". فإذا قلنا إنه يجب على المسلم أن يؤدي الصلاة، فإننا نعني بالمثل أنه يجب عليه أن يتطهر وينظف نفسه. بل إن الفقه الإسلامي يقضي أن يغتسل الزوجان، ويغسلا الشعر على أجسامهم في كل مرة يجامعان فيها بعضهما.

ويمكنني أن أقول بصدق إنني انزعجت مراراً من رائحة أناس يجلسون إلى جانبي في حفلات الأوبرا الغنائية في باريس، أو في مركز لنكولن في نيويورك، أو في المسرح الوطني في ميونيخ، إلا أنني لم أنزعج من رائحة كريهة على الإطلاق في مسجد من مساجد المسلمين.

هل يمكن أن يعني هذا أن المسلمين هم الألمان الأنظف؟

obeikandl.com

المسلمون المحليون

بون ـ ١٤ أيلول/سبتمبر ١٩٨٣

نظمَّتْ المدرسة الدبلوماسية لمكتب الخارجية في بون، للمرة الثانية، ندوةً عن مظاهر الإسلام. وفي عام ١٩٨٠، حضر الأستاذ محمد رسول. وفي هذا العام فإن المنظمة الاتحادية *F.O.* قد جمعت ثلاثة أشخاص من المسلمين المحليين: الأستاذ محمد أمان هوبوم، والأستاذ رولف عبد الله بهريندت، وأنا أيضاً [مؤلف هذا الكتاب]. وقد أعددت محاضرتي بناء على مخطوطة الكتاب الذي أعده للنشر حالياً بعنوان: "دورنا في الفلسفة الإسلامية"، والمزمع نشره في عام ١٩٨٥ (الإصدار بالإنجليزية: كولونيا ١٩٨٥، الرقم العالمي الموحد للكتاب: ٢ ـ ٠٠٤٣ ـ ٨٢١٧ ـ ٣).

وقد تسببنا ببعض الإحراجات عند الغداء حين رفضنا تناول أي طعام يحتوي على الخنزير. وهل لا يزال الناس هنا يتجاهلون الحقيقة القائلة إن تناول لحم الخنزير [ومشتقاته] ليس ضاراً بالجسم فقط إذا كان اللحم مترخناً [مصاباً بدودة شعرية تعيش في أمعاء هذا الحيوان]، بل إنه علاوة على ذلك يحتوي على كمية كبيرة من الكوليسترول والدهون الضارة، ويبطئ عملية الأيض في الجسم [التحولات الغذائية] (مع وجود احتمال كبير للإصابة بسرطان الأمعاء)، وغالباً ما يتسبب بالإصابة بخراجات ودمامل، وأكزيما، وروماتيزم [آلام في المفاصل]؟ ألا يكفي أن نعلم أن فيروسات مرض الأنفولنزا الخطير تتمكن من العيش خلال فصل الصيف باستضافة الخنزير لها في جسمه؟ على ما يبدو، لم يدرك الناس هذه الأمور إدراكاً كاملاً بعدُ، حتى الآن، إذ إنه في عام ١٩٨٣، قد تمَّ إنتاج ثمانين مليون

رأس خنزير، ووصل إنتاج لحم الخنزير أعلى مستوى له مسجلاً أفضل الأرقام القياسية للإنتاج في السوق الأوربية.

إذا عاش المرء دون تناول لحم الخنزير ومشتقاته فترة من الزمن فستتطور لديه كراهية شديدة لرائحة هذا اللحم، بل قد يصاب بالغثيان والشعور بالقيء من رائحته الكريهة. وأما إذا تناول هذا المرء لحم الخنزير بالخطأ، بل حتى إذا تناول شيئاً من دهن الخنزير أو شحمه، فيحتمل أن يصاب بآلام معدية شديدة.

ومن الغريب جداً أن نعلم أن محمداً ﷺ، النبيَّ الأميَّ، الذي لم يعرف القراءة والكتابة قد توقَّع هذا كله؟ فلا بد أن يكون من أخبره عالماً بالأمور كلها [وهو العليم الخبير]...

حيلٌ لغوية

بون ـ ١٩ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٣

غالباً ما يُتَّهم الأصوليون الإسلاميون بأنهم لا ينحازون قيد شعرة عن معاني القرآن الكريم وأنهم يتقيدون بنصوصه حرفياً إلى حد كبير مبالغٍ فيه. إلا أنه اتهام باطل، وتشويه واضح لسمعة الأصوليين المسلمين أن يدعي المرء ببساطة أنهم يتغاضون عن الحقيقة القائلة بأنه لا يمكن فهم الجزء الأكبر من القرآن الكريم كما هو النص حرفياً. وإنهم يدركون تماماً أن الحقيقة الميتافيزقية لا يمكن نقلها إلينا، إذا أمكن ذلك على الإطلاق، إلا من خلال قوالب لغوية وتشبيهات مشتقة من إدراكاتنا المحسوسة (والمحدودة جداً).

وإذا سلَّمنا بأن النصوص الكونية والدينية من القرآن الكريم هي، دون شك، من المتشابهات، فهذا أمرٌ، وأما أن نشجِّع الانطباع الكاذب بأن كل شخص قادر على فهم هذه المتشابهات تماماً، فهذا أمرٌ آخر تماماً. وقد أنكر الأصوليون هذا الاحتمال إنكاراً يقطع كل شك.

ولا بد أن نتوجه بالشكر لكل من رواد التحليل اللغوي مثل: فريتز ماوثينر، ولوديوغ وتينغينستاين، فقد أصبح هذا الأمر الآن أمراً معروفاً بين الناس وهو أن كل تفكيرنا، وأحلامنا، ومشاعرنا (بما في ذلك "الحدس" أو من خلال "الإشعاعات")، التي تحدث، إنما تحدث ضمن الإطار والربط اللذين توفِّرهما لنا لغاتنا. وبالتالي، فإنه ما من شك على الإطلاق أيضاً في أن كل كلمة، حتى ما نسميه المصطلحات "المجردات النظرية"، إنما هي مجرد منتج من منتجات المدركات الحسية التي تتم تقنيتها إلى "المفردات" اللغوية. إننا لا يمكننا أن نقول ما لا نستطيع التفكير به، ولا يمكننا أن

نفكر بما لا يمكننا قوله، وإن هذين النشاطين كليهما يدوران حصراً حول مدركاتنا المحسوسة وهي "الحقيقة".

وبناء على هذه الخلفية، فإن الأصوليين مقتنعون تماماً بأن الحقائق الميتافيزيقية [الغيبية] لا يمكن نقلها والتعبير عنها إلا كجزء من الوحي، إما على شكل "متشابهات" أو على شكل "تشبيهات"، وأنه ليس هناك أية طريقة ثابتة ومعتمدة من خلال المنطق أو من خلال الصوفية يمكنها اختراق صور نصوص الوحي.

ولعرض هذه الحقيقة بكلام مبسط، فإذا كان احترام الحدود الضيقة للإدراك البشري المحسوس علامة من علامات الذكاء، كما يفعل العلماء المعاصرون، فلا يمكن اعتبار تطبيق مثل هذا الشك الحذر تجاه أي تفسير ميتافيزيقي [غيبي] لمعاني القرآن الكريم علامة من علامات الغباء المطلق، كما يفعل الأصوليون. وإن الأصوليين إذا ما واجهتهم نصوص من القرآن الكريم مشكلة عويصة متشابكة من النصوص الغامضة، أو المحيرة، أو الرمزية، والتي ترد بمصطلحات ومفردات فلسفية، فإنهم سينتقدون بشدة الميتافيزيقية، واللاأدرية الدينية، أو الإسمانية (مذهب فلسفي يقول بأن المفاهيم المجردة أو الكليات ليس لها وجود حقيقي، وأنها مجرد أسماء فقط). كما أنهم يعترفون بأن كلاً من الطريقة الفلسفية والرؤى الصوفية للأمور الميتافيزيقية الغيبية، من المحتمل أن تكون مجرد ثرثرة وحماقات تافهة لا معنى لها ليس إلا، وذلك بسبب عدم قدرتنا على إنتاج المفردات الذاتية الخاصة بها ولإدراك معانيها.

فإذا نظرنا من هذه الزاوية، ألا يمكننا أن نرى أن الأصوليين هم الأبعد نظراً والأوضح رؤية في الحقيقة، وأنهم هم الفقهاء الذين يفقهون الأمور على حقيقتها؟

هناك أمر غريب حولها!..

بون. ٢٩ كانون أول/ديسمبر ١٩٨٣

حاول كثيرون تتبع سيرة النبي محمد ﷺ، ما بين عامي ٥٧٠ ـ ٦٣٢ ميلادي. إلا أن هناك كتابين للسيرة مثاليين: أحدهما السيرة الشهيرة التقليدية لابن إسحق بعنون "سيرة رسول الله ﷺ، كما أوردها ابن هشام في السنة المئتين للهجرة (والتي ترجمها الكاتب إيه. غوليوم ـ أكسفورد ١٩٥٥)، والسيرة التي كتبها مارتن لنغ بعنوان: "سيرة محمد [ﷺ]، بناء على المصادر القديمة"، نيويورك ١٩٨٣."

فإذا تركنا جانباً الميل لمشاهدة المعجزات والميل لمعرفة ما يمكن أن تسهم به الشراكات السياسية، فإننا نجد أن محمداً ﷺ، قد برز في التاريخ من خلال مصادر سيرته الرائعة على أنه له شخصية رجل الدولة القيادية التي لها رونقها وجاذبيته المتميزة، ولها إرادتها القوية، وقدرتها، ومهارتها الاستراتيجية التكتيكية الفريدة.

وقد أظهرت الفترة الواقعة ما بين هجرته من مكة إلى المدينة، وعودته إليها ليفتحها سلماً بعد عقدٍ من الزمان تقريباً، تبين حنكته وقدرته الاستراتيجية التي تجعله في مصاف المخططين الاستراتيجيين العظماء، لنذكر منهم على سبيل المثال معه ﷺ، كارل فون كلاوسويتس. وقد استخدم نبيُّنا محمد ﷺ، كلاً من الحرب الاقتصادية والنفسية، كما استخدم مفاوضات الرقابة على السلاح كوسيلة أو أداة للسياسة الخارجية. وقد كان لمعاهدة الصلح التي قبلها في الحديبية، والتي أذعرت أصحابه، انقلاباً دبلوماسياً من النوع الأول، وأدرك أهل مكة خلال فترة

وجيزة أنهم وقعوا بأيديهم على استسلامهم وهزيمتهم القريبة. كما أن الدستور الذي أرسى قواعده محمد ﷺ، لم يكن ليقلَّ في الأهمية عن تلك المعاهدة أيضاً، وقد أملاه محمد ﷺ، على شكل معاهدة اتحادية فيدرالية بين المسلمين من جهة والجالية اليهودية من جهة أخرى.

وإذا أخذنا بعين الاعتبار كلاً من النجاح الذي أحرزه محمد ﷺ، في المجال التجاري، وحكمته كقاضٍ ومُحكِّمٍ، وبراعته ﷺ كمحدِّثٍ بليغ ذي أسلوبٍ بياني رائع ساحر يأخذ بالألباب، فليس بوسع المرء أن يصف أو أن يشرح كيف يمكن أن يكون لهذا النبي الأمي العربي الذي لم يعرف القراءة والكتابة أن يمتلك مثل تلك الصفات والمزايا.

لا شك أن هناك أمراً خارقاً غريباً حول ذلك.

ولا شك أن هناك وحياً إلهياً حول ذلك. (ومنه ما جاء في سورة النساء: ١١٣): ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾.

التعددية الإسلامية

لوتزيلباخ ـ ١٦ شباط/فبراير ١٩٨٤

نشر الكاتب أحمد فون دينفير قبل عام رسالة مختصرة بعنوان: "رسائل معنونة إلى إخواني"، والعنوان الجانبي لها هو: "نحو مجتمع إسلامي". وقد جمع الكاتب بين دعوة ثورية أن يعيش الناس حسب ما قرره الإسلام ـ أو أن يعطي المرء الأولوية في حياته لما يفرضه عليه إيمانه ـ وقد عرض مقترحات أساسية واضحة ومتينة تبين كيف يمكن أن يتوصل المرء إلى هذا الأمر، خطوة بخطوة، للوصول إلى درجة الكمال الفردي ضمن المجتمع الإسلامي ذي النسيج المترابط (والذي يمكن تسميته لهذا الغرض بالأخوة الإسلامية).

إن مثل هذه المبادرات لها تراث قوي. لقد استطاع شباب المسلمين خلال التاريخ الإسلامي إنشاء مجتمعات "فاضلة"، وغالباً ما كانت تلك المجتمعات سرية بُنيت على أساس من الفتوة.

فإذا أخذنا بعين الاعتبار كلاً من مبدأي القصور الذاتي والأنانية، فإنه لم يكن من السهولة بمكان أبداً تحقيق الزخم الديني. إلا أن إغناطيوس ليولا وفلاديمير إيليش لينين استطاعا أن يزحزحا العالم من خلال إنشاء ما يسمى: "الكوادر". وبالمثل، فإن تحسين فرص الإسلام للوجود في الغرب يحتاج إلى أكثر من الالتزام العام الذي يقدمه أشخاص قلة، إنه يحتاج كذلك إلى مهارات تنظيمية ولوجستية معاً.

ها نحن اليوم نجتمع في حلقة صغيرة في "بيت الإسلام"، في قرية "هيسين" جنوب فرانكفورت، لنناقش كيف يمكننا تحقيق اعتراف

رسمي بالإسلام في ألمانيا. إن هذا الاعتراف هو مطلب أساسي لا بد من الحصول عليه لتقديم تدريس الدين الإسلامي في المدارس ولجمع "ضرائب الكنيسة" من خلال الإدارة المالية للولاية.

والمطلب الأساسي المطلوب توفره لتحقيق هذا المطلب والتقدم هو أن يوحد المسلمون أصواتهم ويتكلموا بصوت واحد. ونحن ندرك أن السلطات الألمانية ترغب التعامل مع شريك واحد فقط، وهناك تكمن نقطة الاحتكاك.

ولا شك أن المسلمين، كالعرب مثلاً، هم شعبٌ يعمل بمنتهى الاستقلالية. وهم يمارسون تعددية لا تسمح بها أية كنيسة، ولا يمكنها أن تعيش. وقد يكون هذا التنوع ناتجاً عن غياب القرابين في الإسلام، وهكذا أيضاً غياب القساوسة والرهبان. (لقد تمَّ التعامل مع القرابين والمكاتب الدينية غالباً لتعزيز الانتظام والتأديب). وعلى أية حال، فحتى تحت قيادة الخليفة (أي: حتى بعد الحرب العالمية الأولى بفترة قصيرة)، فقد عرض الإسلام نماذج رائعة للتسامح في الأمور القانونية والتفسيرات الدينية.

ويجب، بالطبع، أن نرى عاملاً يسهم في هذه الحالة في الأمر الذي يتعلق بموضوع "المقاطعة، أو الفصل من الدين" حتى ولو كان يتمسك فقط بأبسط الأمور الأساسية من الإسلام ويدعي بأنه مسلم. ويعتبر الأمر نادراً جداً، كما هي الحال في باكستان، أن فرقة ضالة خارجة عن الإسلام وهي الأحمدية، [القاديانية] اعتبرت رسمياً خارجة عن الإسلام.

لقد اعتبر المسلمون دائماً أن اختلافاتهم المتنوعة هي بمثابة قوة لهم وليست ضعفاً، وسواء أكان ذلك المذاهب الفقهية الأربعة، أو الفرق والملل والنحل كالمذهب الشيعي مثلاً وغيره.

وكذلك الحال في الغرب، فقد انقسم المسلمون إلى فرق أخرى بناء على انتماءاتهم العرقية واللغوية. ونتج عن هذا غالباً أطيافٌ مختلفة من

المنظمات والمؤسسات الإسلامية، والمراكز الحضارية التي تعيش جميعها تحت المظلة الإسلامية العظيمة.

ولو أن كافة هذه الجماعات المتفرقة أصغت لنصيحة أحمد فون دينفر لأدرك كافة المسلمين الذين يقيمون في كافة البلدان الأوروبية وأمريكا الشمالية أنهم في سفينة واحدة، وأنهم الآن يجدفون بمجاديفهم معاً باتجاهٍ واحد.

obeikandl.com